

دلائل الإعجاز

ومما لا يكونُ العطفُ فيه إلاَّ على هذا الحدِّ قوله تعالى : (وَ مَا كُنْتُمْ بِرِجَالٍ بِرِجَانِ)
الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . ولكنَّ
أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتُمْ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ
مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ) . لو جَرِيَتْ على الظاهر
فجعلت كلَّ جملةٍ معطوفةً على ما يليها مَنَعَ منه المعنى وذلك أنه يلزمُ منه أن
يكونَ قوله : (وَ مَا كُنْتُمْ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) معطوفاً على قوله ()
فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) وذلك يقتضي دخوله في معنى " لكن " ويصيرُ كأنه قيل :
ولكنَّك ما كنتَ ثاويًا وذلك ما لا يخفى فسادُه . وإِذَا كَانَ ذَلِكَ بَانَ مِنْهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ عَطْفَ مَجْمُوعٍ (وَ مَا كُنْتُمْ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) إِلَى (مُرْسَلِينَ) على
مجموعِ قوله (وَ مَا كُنْتُمْ بِرِجَالٍ بِرِجَانِ) إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ)
إلى قوله (الْعُمُرُ) .

فإِنْ قُلْتُمْ : فَهَلَّا قَدَّرْتُمْ أَنْ يَكُونَ (وَ مَا كُنْتُمْ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) معطوفاً على ()
وَمَا كُنْتُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) دُونَ أَنْ تَزْعَمَ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ مضموماً إِلَيْهِ مَا بَعْدَهُ إِلَى قَوْلِهِ
" الْعُمُرُ " قِيلَ : لِأَنَّ إِنْ قَدَّرْنَا ذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يُذَوَّى بِهِ التَّحْقِيقُ عَلَى قَوْلِهِ : ()
ولكنَّنا أنشأنا قرونًا) وأن يكونَ الترتيبُ : وَ مَا كُنْتُمْ بِرِجَالٍ بِرِجَانِ) إِذْ قَضَيْنَا
إلى موسى الأمرَ وَ مَا كُنْتُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَ مَا كُنْتُمْ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمُ
آيَاتِنَا وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ وَفِي ذَلِكَ إِزَالَةٌ
(لَكِنْ) عَنْ مَوْضِعِهَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ . ذَاكَ لِأَنَّ سَبِيلَ (لَكِنْ) سَبِيلُ (إِلَّا)
فكما لا يجوز أن تقولَ : جَاءَ نِي الْقَوْمُ وَخَرَجَ أَصْحَابُكَ إِلَّا زَيْدًا وَإِلَّا عَمْرًا بجعلِ " إِلَّا "
زيداً " استثناءً من جَاءَ نِي الْقَوْمُ و " إِلَّا " عمراً " من خَرَجَ أَصْحَابُكَ . كذلك لا يجوز أن
تصنعَ مثلاً ذلكَ بلكن فتقول : مَا جَاءَ نِي زَيْدٌ وَمَا خَرَجَ عَمْرٌ وَلَكِنْ بَكَرًا حَاضِرٌ وَلَكِنْ
أَخَاكَ خَارِجٌ : فَإِذَا لَمْ يَجْزُ ذَلِكَ وَكَانَ تَقْدِيرُكَ الَّذِي زَعَمْتَ يُؤَدِّي إِلَيْهِ وَجِبَ أَنْ تَحْكَمَ
بِامْتِنَاعِهِ فَاعْرِفُوهُ .

وهذا وإنما تجوزُ نيَّةُ التأخيرِ في شيءٍ معناه يقتضي له ذلكَ التأخيرَ مثل أن
كونَ الاسمِ مفعولاً لا يقتضي له أن يكونَ بعدَ الفاعلِ فَإِذَا قُدِّمَ عَلَى الْفَاعِلِ نُؤِيَّ
بِهِ التَّأخِيرُ . ومعنى (لَكِنْ) فِي الْآيَةِ يُقْتَضِي أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِهَا الَّذِي هِيَ فِيهِ فَكَيْفَ
يجوزُ أَنْ يُذَوَّى بِهَا التَّأخِيرُ عِنْدَهُ إِلَى مَوْضِعِ آخَرَ

